واقع وآفاق المرأة الريفية ومساهمتها في التنمية المحلية بمنطقة وادي سوف

The title of the article: The reality and prospects of rural women and their contribution to local development in Oued Souf

أ. مباركة عماري، جامعة الوادي- الجزائر

ملخص: إنّ المرأة العربية بصفة عامة والمرأة الجزائرية بصفة خاصة، تمثل العمود الفقري والركيزة الأساسية في مجتمعها الحضري أو الريفي، ويظهر ذلك من خلال ما تقدمه من مجهودات واضحة سواء على الصعيد الأسري أم الاقتصادي أم الاجتماعي أم الثقافي أم السياسي، فالمرأة الجزائرية في كل ربوع الوطن فرضت وجودها بجدارة في كل الميادين، ومثال على ذلك ما قدمته المرأة السوفية برغم بساطتها فمنها الشاعرة كشاعرة الثورة فاطمة منصوري وشاعرة الرومانسية سمية مبارك والإعلامية باية رزيق والأخصائية النفسية كريمة بوحمدي ومعلمة السياقة عتيقة حدانة ورئيسة جمعية التنمية الريفية بغمرة ڤمار سعيدة ديدي، وكذلك فاطمة بحري سيدي عون وغيرهن ممّن تركن بصمتهن المتميزة في مجتمعهن فهؤلاء الرائدات نجدهن حملن على عاتقهن مشعل الأمل المتجدد بالحياة الأفضل مهما كانت الصعوبات المحيطة بهن، وذلك بتفعيل دور المرأة في التنمية المحلية بالمجتمع السوفي لتواكب تطورات الحياة.

وتأسيسا على ما سبق، نهدف من مقالنا هذا إلى تعريف المرأة بمنطقة الوادي، مع محاولة تجسيد بعض الملامح الواقعيّة لها وكيفية مساهمتها في التنمية المحلية، وذلك بإدراج نماذج حيّة من نساء سوفيات مثابرات بجانب الرجل من أجل فرض وجودهن في مجتمعهن. كما نورد في النّهاية بعض السبل والآفاق التي تقترحها هؤلاء النساء بمنطقة الوادي.

الكلمات المفتاحية: المرأة، المجتمع، التنمية الريفية.

Abstract: Arab women in general and Algerian women in particular represent the backbone and cornerstone of their urban or rural society. This is demonstrated by their visible efforts at the family, economic, social, cultural or political levels. Algerian women in all parts of the country have imposed their presence in all fields. For example, the Sufi women, despite their simplicity, include the poets of the revolution Fatima Mansouri, the poet of romance Soumia Mubarak, the media of Rizig, the psychiatrist Karima Bouhamdi, the teacher of the car, Atika Hadana, the head of the Rural Development Association, As well as Fatima Bahri Sidi Aoun ... and others who have left their distinctive mark in their society, these leaders have assumed the torch of renewed hope for a better life, whatever their difficulties, by activating the role of women in development To meet the developments of life.

Based on the above, we aim to introduce women in the Wilayat of the valley, while trying to reflect some of the real features of rural women and how they contribute to local development by incorporating living models of persistent women alongside men in order to impose their presence in their society. Some of the avenues and perspectives proposed by these women in the Wilayat state.

Keywords: Women, Society, Rural Development.

مقدمـــة:

إن المرأة هي الأم والأخت والزوجة والصديقة والزميلة وبالتالي هي العنصر الفعال في بناء الأسرة، إنّ لم نقل تعدّ الرّكيزة الأساسية والمهمة في بناء المجتمع وتنميته وتطوره ككل، حيث أثبتت وجودها وبجدارة سواء أكانت ريفية أم حضرية أم صحراوية، فالمرأة هي الشمعة المضيئة للتنمية داخل مجتمعها على جميع الأصعدة عبر مختلف الأجيال والأزمنة، لأنّها تصنع من روحها ونفسها العزيمة والقوة والإرادة من أجل تحدي كل الظروف الحياة التي حولها مؤمنة بقدرتها الايجابية بأن تصنع من فكرها وذاتها مستقبلا مزدهرا لتوفير كل الاحتياجات الصحية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لأسرتها ومجتمعها وكل ما يحيط بها من أجل توجيههم والوصول بهم نحو الأفضل من حيث التنمية والتطور.

أولا. التعريف بالمرأة السوفية:

إنّ المرأة بمنطقة وادي سـوف- المرأة السوفية- لا تختلف عن غيرها من نساء العالم سواء في العالم الغربي أم العالم العربي أم على المستوى الوطني- الجزائر-، حيث عانت الكثير من أجل الوصـول إلى المكانة التي هي عليها الآن في القرن الـواحد والـعشريـن، لقد فرضت نفسها ووجودها في هذا الكون كباقي نساء العالم ووضعت بصمتها عبر بوابة التاريخ لتخلد اسمها وفق سجل النساء الرائدات على جميع المستويات في مجتمعها المحافظ والمكبل بقيود المجتمع العـربي الأصيل، وبرغم من كل هذه المحبطات التي وقفت في طريقها، إلاّ أنّها كانت نموذجا مثليا للمرأة المثابرة والمكافحة في سبيل مساعـدة أسرتها وتنمية مجتمعها، وعليه فقد حاولنا أن نتعرف على هذا النموذج من النساء وذلك بإدراج هذين المرحلتين، وهما كالتالي:

أ. مرحلة الانغلاق والبساطة:

إنّ الـباحث في أعـماق الـتـاريخ يجـد الـمرأة السوفية في هـذه الفـترة تمثـل المرأة العـربـية الريفية القروية البدويـة الأصيلة البسيطة والـمضطهدة المسلوبة حريتها المغلوبة على أمرها، فكل ظروف الحياة ضدها، حيث تفتقد لأبسط وسائل العيش كإنسانة في هذه الحياة الصحراوية القاسية وأتحدى أي امرأة في زمننا الحالي أن تقبل العيش في مثل هذه الظروف الصعبة، ولتكن بدايتها من بيئتها، حيث كانت تعيش في وسط الصحراء معزولة عن العالم الـذي حولها، ترتحل مع أهلها من مكان للآخر باحثين عن "الكلأ وعن منبع المياه، نازحين عن الأماكن التي أصابها الجفاف"(عمار عوادي، 2011، ص36)، ولكن مع مرور الزّمن وتطوّر الحياة اضطر بعض سكّان وادي سوف إلى الاستقرار بوسط المدن والقرى والواحات وعدم الترحال وخاصة بعد حصولهم على المياه الجوفية ونجاحهم في انتاج بعض المحاصيل الزراعية المختلفة، وبهذا عرفت بعض النساء السوفيات نوعا من الاستقرار.

ومنه فـإن الـمرأة في حياتها اليومية منها الأسريـة والعـائـلية والاجـتماعـية والعملية والمهـنية تجدها ذلك الكائن الحي الذي يحس "ويشعر ويتألم ويتعذب بصمت ويقوم بكل أعباء الحياة"(باسمة كيّال، 1981، ص8)، دون أن يمل أو يضّجر أو يكل أو يتكلم، وعلى سبيل المـثال الـمرأة الـسوفـية المـتواجدة داخل مجتمع ذكوري متعصب لبني جنسه، فلا يُسمع صوتها في وجـوده -الـرجـل- لأنه في هذه الفترة هو السيد الآمر الـنّاهي وفي نظره يجب "خـضوع الـمرأة للرجل وللعائـلة"(علي الحوات، 1998، ص70)، سواء أكانت عائلتها أم عائلة زوجـها، فيجب عـليها أن تـتحمل مهـما كـان الـضرر الـذي يـلحـق بـها. فـهـذه الأنـثى الـمغلوب على أمـرهـا مـنذ بـلوغـها "سن الـمراهقة أو الرشد تصبح مراقبة من طرف الأم والأب والأخ والعم والخال وجميع أفـراد الأسـرة والأقـارب ثـم تحـجب عن أنـظار الأجـانـب تمـامـا، ولا يـراهـا أحد خـارج الـمنزل أبـدا، ويطـلق عـليها اسم فـلانة محجوبـة، والـويـل لـها إن رآها أحد من الأسرة خـارج الـمنزل"(أحمد بن الطاهر منصوري، 2015، ص9)، لأنّها

أصبحت في نظرهم امرأة تمثل شرف العائلة وكرمتها فيجب المحافظة عليها كما ينبغي، وعليه فقد حُرم الكثير منهن العديد من الأشياء كحقهن في التعليم سواء في الكتاتيب أو المدارس وخاصة في الفترة الاستعمارية وبمجرد بلوغهن سنّ التاسعة يتم تزوجهن دون أن يكون لهن رأي في شريك حياتهن.

أمّا عن حياتها المعيشية في تلك الفترة فكانت كغيرها من نساء الجزائر تناضل ضد الاستعمار الفرنسي إلى جانب معاناتها الفقر والحرمان مع بساطة الحياة الريفية الصحراوية والقروية، وعليه فهي كانت تساهم في مساعدة أهلها وزوجها وأسرتها وتنمية مجتمعها من بيئتها المغلقة المحيطة بها، وذلك من خلال أشغالها اليدوية كالنسيج والرعي والزراعة.

ب. مرحلة الانفتاح والتطور والازدهار:

تعدّ هذه المرحلة من المراحل المهمة والصعبة بالنسبة للمرأة السوفية، لأنّها تعتبر مرحلة انتقالية نحو التغيير للأفضل والأحسن من كل نواحي الحياة، وتبدأ هذه الفترة بداية من الاستقلال إلى يومنا هذا، حيث حاولت هذه المرأة الريفية الصحراوية بإمكانياتها المحدودة والبسيطة

أن تكسر كل الحواجز التي تقيدوها تدريجيا من سنة إلى أخرى، لتواكب كل التطورات الحياة

وتتأقلم وتتماشى مع كل ما هو جديد، ومن الدوافع التي جعلتها تتغير نذكر منها مايلي:

- فك العزلة عن المنطقة، واحتكاك بعض أسرها بالأسر المناطق المجاورة، ومن ثم انفتاح وتطلع الفتاة الريفية الصحراوية في أن تكون مثل ابنة المدينة أو أفضل منها.
- بداية التفطن لدى بعض الآباء والأهل بضرورة التحاق بناتهن بمقاعد الدراسة وخاصة أن هذه الفتاة امرأة المستقبل والأساس الأول في بناء الأسرة والمجتمع، لأنّها الأخت والزوجة والأم فهي"المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل لغته الوطنية"(جمال العيفة، 2010، ص195) والمحلية، وهي المسؤولة على تنشئته وتوجيهه.
- رفض الكثير من الآباء والأهل تزويج بناتهن في سن مبكرة إلاّ بعد اكمال دراستهن، والتي لم يسعفها الحظ في الدراسة يتم تزوجها إلاّ بعد سن ثمانية عشرا.
- انتشار الوعي الفكري لدى بعضهن بضرورة خروجهن من دائرة الانغلاق والانطواء بحجة العادات والتقاليد السائدة في المجتمع التي تقيد تحركاتهن.
- ظهور الإعلام بكل أنواعه ووسائله المختلفة المرئية والمكتوبة، "كالإعلام التنموي الذي تم ربطه بوسائل الإعلام لتخطيط التنمية وبرامجها في المجتمع المحلي، والذي يشمل جميع الفئات بما فيها المرأة"(سعاد جبر سعيد، 2008، ص30).
- اضطرار بعض النسوة السوفيات الخروج للعمل، بسبب فقدان المعيل الرئيسي لأسرتها، كالأب أو الأخ أو الزوج أو الابن مثلا.
- رغبة المرأة السوفية للعصر الحالي في خروجها للعمل من أجل إثبات ذاتها وكيانها داخل مجتمعها البسيط، "فالعمل بالنسبة لها ليس اندماجا ماديا فقط بل اندماج روحي في المجتمع"(رشيد بومعالي، 2011، ص59)، ولتثبت أنّها قادرة على ممارسة أعمال أخرى غير عملها المعتاد داخل منزلها.

ومنه فإنّ هذه المرحلة بالنسبة للمرأة السوفية لم تكن سهلة ولا هينة في بداية الأمر؛ لأنّها تعلن فيها التحدي لمواجهة بيئتها وأسرتها ومحيطها ومجتمعها وعاداتها وتقاليدها التي ورثتها جدًّا عن جدّ، لتخرج من الدائرة التي تطوقها وتقيدها لتنطلق بحريتها وإرادتها الكاملة نحو حياة جديدة للبحث عن الأفضل والأحسن داخل مجتمعها الرافض لهذا التحدي والإصرار في بداية الأمر لتتغير نظرته- المجتمع- لها بعد ذلك تماما وخاصة أواخر التسعينات.

ولـو قــارنا الــمرأة السوفية بنظيراتها من نساء الجزائر، كنساء العاصمة قسنطينة وعنابة والمدية
وتيزي وزو، وتلمسان وبجاية وغيرها من المدن الكبرى لا وجدنا نساءهن قد تحررنا من هذه القيود
المكبلة أيديهن وأصبحن ينافسنا الرجل المثل بالمثل والدليل على ذلك أنـّه "استخدم العديد من النساء المتحررات في الوظائف الحكومية"(باسمة كيّال، 1981، ص8)، وغير الحكومية كالعمل في المصانع والزراعة والأعمال الحرة وغيرها، وهذا منذ عهد الاستعمار؛ أي قبل خروج المرأة السوفية من دائرة انغلاقها وانطواءها حول نفسها وليس هي فقط، بل بالنسبة لنساء الأرياف ككل.

ومنه نجد أن المرأة السوفية الـريفية الصحراوية البسيطة، قـد ناضلت وتحدت نفسها أولا ثم أسرتها ثانيا ثم مجتمعها ثالثا من أجل الوصول إلى عدّة أهدف، والشكل التالي يوضح ذلك:

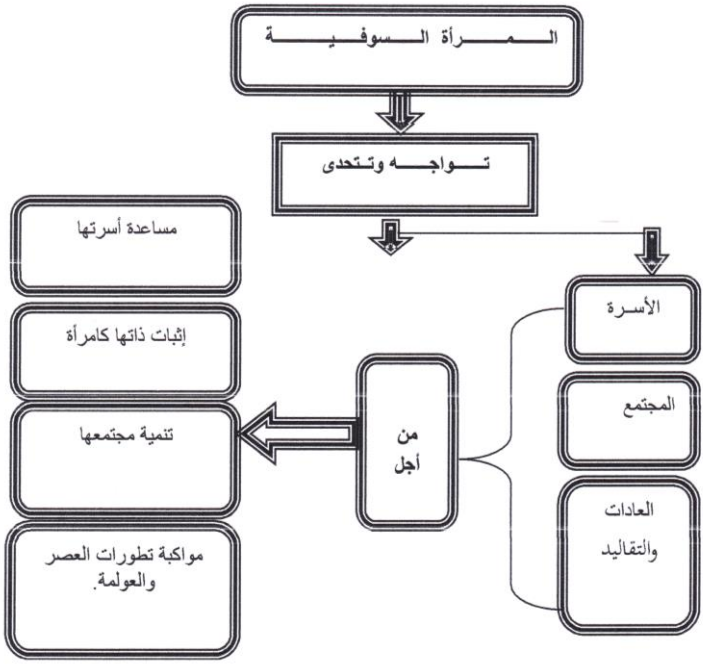

شكل رقم 01 يوضح: المرأة السوفية بين التحدي والأهداف.

ويتضح في الأخير بأنّ المرأة الـسوفية رغم كـل ظـروفها إلاّ أنّها فـرضت نفسها كامـرأة ريفية علمتها قسوة طبيعة كيفية تحـدي بيئتها ومجتمعها وهـذا من أجل تنميته وتطويره. مع محافظتها وتمسكها "بعاداتها وتقاليدها التي ورثتها عن الأجداد"(باسمة كيّال، 1981، ص222)، عبر مختلف العصور، ولكن مع التعديل والتخلي عن بعضها وفق ما يناسب عصرها الحالي.

ثانيا. المرأة السوفية بين الواقع والتنمية:

لـقـد رافـق الـتقدم الـذي شهده العالـم حـدوث أزمـات وصـراعـات كـبـيرة جـدا، بحيث شملت جـوانب مخـتلفة ومتعـددة ولا يمكن الخروج منها إلاّ بالـتـنمية، وخصوصا أنـنا نعيش الآن في عالــم
المعرفة والعلم والفكر والانفتاح والتطور الذي يتطلب التفاعل مع معطيات المرحلة الراهنة ومواجهة التحديات، فلم يعد الـصراع يتمثل في القوة العسكرية والسيطرة السياسـية على

الأراضي واحتلالها وإنّما انتقل إلى كيفية استخدام المصادر الطبيعية بوسائل علمية وتقنية ومخترعات تكنولوجية حديثة ولا يتم ذلك إلاّ عن طريق التنمية، ومنه فالتنمية "بمفهومها الشامل تعني توفير الآليات والأساليب والوسائل لكل فرد على فرص متساوية ومتكافئة؛ أي المشاكل ذات الطابع المحلي ومن أمثلتها برامج التربية والترفيه والمرافق العامة والشؤون الصحية وبرامج الرفاهية"(محمود عاطف غيث، 1974، ص165)، ويمكن اعتبار التنمية "أنّها تمثل عملية تحرر شاملة، سياسية واقتصادية واجتماعية وأن مراميها وأهدافها يصعب تحقيقها، دون إدارة سياسية واعية، وأنّها عملية تحول اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي معا. وتمثل نهوضا حضاريا وليس مجرد تغير اقتصادي يتمثل في مجرد ارتفاع في متوسط دخل الفرد دون النظر إلى النّواحي الأخرى من عملية التنمية"(رابح كعباش، 2007، ص29)، فعملية التنمية أساسا تستهدف تطوير القدرات البشرية وتعبئتها للتغلب على المشاكل التي تحول دون الوصول إلى سعادة الإنسان التي يرغب في الوصول إليها، لذا فالمشاركة العامة في تنفيذها تعدّ من أهم أسس وسبل النّجاح، ويصبح لكل فرد دور في عملية التنمية ولهذا يجب على المرأة السوفية أن تتعاون مع الرجل وأن تكون واعية بما يجري حولها وتعرف دورها في تطوير مجتمعها وتنميته.

وبما أن عنصر دراستنا هو المرأة السوفية بصفتها المساهم الأول في تنمية مجتمعها المحلي قد حاولنا إنشاء استمارة للتحليل والتفسير فقط، والتي حكمت من طرف ثلاثة أساتذة مختصين في هذا المجال، ليتم بعد ذلك توزيعها على أفراد العينية المقدرة بمائة امرأة من الوسط النسوي للمجتمع السوفي، وقد تم ذلك على مستوى وسط المدينة وبعض القرى المجاورة، وهذا من أجل تحقق من مدى صحة فرضيتنا في كون المرأة السوفية هي المساهم الأكبر في تنمية مجتمعها المحلي، وقد قسمت هذه الاستمارة إلى ثلاثة محاور.

المحور الأول: مساهمة المرأة السوفية للتنمية الاجتماعية في المجتمع المحلي:

لقد تطرقنا في هذا الاستبيان إلى فئة معينة من النساء السوفيات، والتي كانت تتراوح أعمارهن ما بين سن ثمانية عشر سنة إلى ستين سنة، وحاولنا أن نتعرف على حالتهم العائلية، ومعرفة

إذا كان لها أثر سلبي أو إيجابي على مستواهم المعيشي، لأن الحالة العائلية الجيدة تعطي دورا هاما وبارزا للمرأة السوفية في قدرتها على العطاء وبذل مجهود أكبر من أجل تلبية حاجيات أسرتها سواء على المستوى المعيشي أم مستوى الصحي أم مستوى العمل أم مستوى العلاقات العائلية والاجتماعية أم مستوى العادات والتقاليد، فبنجاحها على مستوى أسرتها ومحيطها تكون قد نجحت في تنمية مجتمعها المحلي من كل النّواحي، فالمرأة السوفية في العصر الحالي ومع التطور والتكنولوجيا وسياسة التنمية التي دعمتها بها الدولة الجزائرية جعلتها تتحدى كل ظروفها العائلية التي يمكن أن تقيدها وتجعلها متقوقعة على نفسها سواء أكانت تلك الظروف أسرتها أم مجتمعها أم العادات والتقاليد أم غيرها، وسيتضح الأمر أكثر فيما يلي:

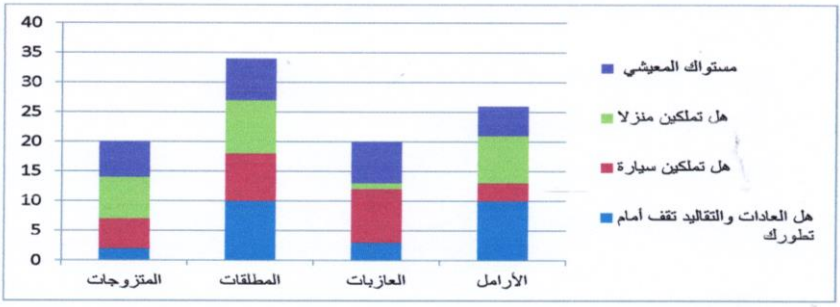

شكل رقم 02 يوضح: دراسة أثر الحالة العائلية للمرأة السوفية في التنمية الاجتماعية.

	مستوى المعيشي		هل تملكين منزلا		هل تملكين سيارة		هل العادات وتقاليد تقف أمام تطورك	المجموع		
	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪
المتزوجات	06	٪24	07	٪28	05	٪20	02	٪08	25	٪100
المطلقات	07	٪28	09	٪36	08	٪32	10	٪40	25	٪100
العازبات	07	٪28	01	٪04	09	٪36	03	٪12	25	٪100
الأرامل	05	٪20	08	٪32	03	٪12	10	٪40	25	٪100

الجدول رقم 01: يوضح توزيع فئة المرأة السوفية حسب الحالة الاجتماعية.

كما نلاحظ من خلال جدول الدراسة بأن الحالة العائلية لها أثر كبير على المرأة السوفية كيف ذلك؟، فالمرأة المطلقة والأرملة والعازبة وحتى المتزوجة، لم ترضخ لحالتها بل دفعتها للانطلاق من جديد نحو الأفضل والأحسن لظروف حياتها لتتحدى نفسها وتحقق طموحاتها وآمالها ونجاحاتها على صعيد المهني والتعليمي والأسري، ومن ثم تحقيق التنمية الاجتماعية، حيث قدرت نسبة المتزوجات اللواتي مستواهم المعيشي متوسط بـ 24٪ بينما المطلقات والعازبات فهن أكثر نسبة حيث قدرت بـ 28٪، أما الأرامل فقدرت بـ20٪، وبما أن العمران يعدّ من مظاهر التنمية فقد أحصينا عينتنا في امتلاكهن للمسكن فوجدنا النسبة مرتفعة بالنسبة للمطلقات والأرامل، حيث قدرت الأولى بـ 36٪ والثانية بـ 32٪ ويعود هذا الارتفاع لدعم الذي تقدمه الدولة خاصة للمرأة المطلقة والأرملة، كما أحصينا نسبة امتلاكهن لسيارة وقيادتها، أعلى نسبة لدى العازبات بـ 36٪، ومن النتائج المتحصلة حول رفضهن لبعض العادات والتقاليد التي تعارض تطورهن وتنميتهن ليتحدينها فوجدنا أعلى نسبة لهذا الرفض لدى المطلقات والعازبات

والتي قدرت بـ 40 ٪، ومنه فإن الحالة العائلية للمرأة السوفية كانت لها دافع لتحسين حياتها الأسرية ومن ثم تحسن في التنمية الاجتماعية.

ولكي نلتمس واقع المرأة السوفية المعاش في مساهمتها للتنمية الاجتماعية ندرج نموذج حيّ والذي تمثل في أول امرأة في تعليم السياقة الأستاذة عتيقة حدانة سنة 1980م بمنطقة وادي سوف، بالرغم ارتباطها بأسرتها ومحيطها إلاّ أنّها تحدت كل الظروف والعادات والمجتمع وأثبتت وجودها بجوار الرجل بجدارة، فهي سعت نحو"التحول الاجتماعي والعدالة الاجتماعية هما المنطلق الأساسي نحو التنمية"(رابح كعباش، 2007، ص29)، وبهذا فهي المساهمة الأولى لتنمية في تعليم المرأة السياقة وجعلها تعتمد على نفسها في قضاء حوائجها.

وفي الأخير يمكن القول أن المرأة السوفية قد حققت نسبة من التطور الاجتماعي ويظهر ذلك في نظرة الناس ورغبتهم في الوصول إلى ما وصلت إليه هؤلاء النسوة، سواء في اهتمامهن بالعمران والمنزل وشؤونه وتوفير حاجيات الأسرة وتربية النشء تربية صالحة وبهذا تكون قد حققت نسبة معينة من تنمية الاجتماعية في مجتمعها.

المحور الثاني: مساهمة المرأة السوفية للتنمية الاقتصادية في المجتمع المحلي:

تعدّ التنمية الاقتصادية في المجتمع هي المحور الأساسي والهادف من أجل لازدهار وتقدم نحو أي دولة في العالم، وبما أن المرأة هي العنصر الفعال في المجتمع لأنّها تشكل نقطة محورية في الجانب التنموي الاقتصادي سواء أكانت عاملة أم موظفة أم ذات أعمال حرة أم ماكثة في البيت، فهي تحاول أن تقدم مساهمتها التنموية الاقتصادية على حسب قدرتها لأسرتها ومجتمعها المحلي. وبهذا فالتنمية الاقتصادية تظهر في"أشكال التبادل الاقتصاد المنزلي والمدني، والوطني والعالمي"(صلاح الدين شروخ، 2005، ص98)، وسنوضح الأمر أكثر فيما يلي:

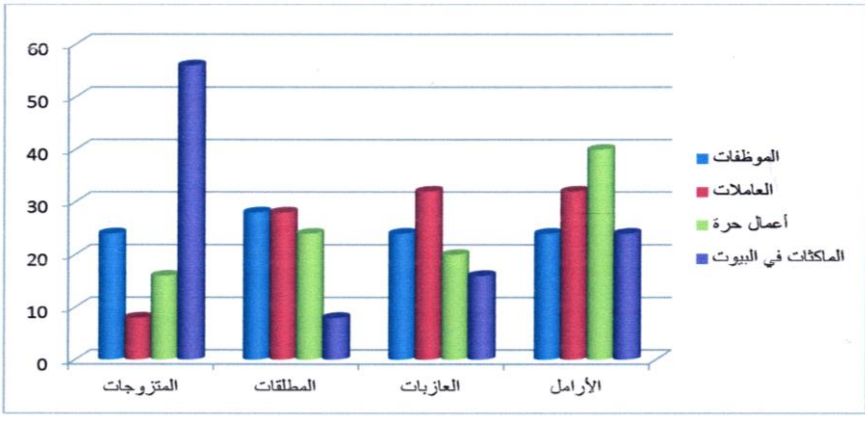

شكل رقم 03 يوضح: دراسة مساهمة المرأة السوفية في التنمية الاقتصادية.

	الموظفات		العاملات		أعمال حرة		الماكثات في البيوت		المجموع	
	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪
المتزوجات	06	٪24	02	٪08	04	٪16	14	٪56	25	٪100
المطلقات	07	٪28	07	٪28	06	٪24	02	٪08	25	٪100
العازبات	06	٪24	08	٪32	05	٪20	04	٪16	25	٪100
الأرامل	06	٪24	08	٪32	10	٪40	05	٪24	25	٪100

الجدول رقم 02: يوضح توزيع فئة المرأة السوفية حسب مصدر الدخل.

يتضح من خلال نتائج الجدول أن نسبة أفراد العينة المدروسة للواتي يمارسن مهن مختلفة نجدها مرتفعة من فئة إلى أخرى، فقد بلغت أعلى نسبة في مهنة التوظيف خاصة في مجال التربية والتعليم، لأنّها المهنة المفضلة لدى المرأة السوفية في المنطقة، وعليه سجلت أعلى نسبة لدى فئة المطلقات بنسبة 28٪، لتليها بعدها الفئات الأخرى والتي قدرت بـــ 24٪، أمّا بالنسبة لمهنة العاملات اللواتي يعملن في المصانع منها مصنع التمور ومصنع العطور، فقد قدرت أعلى نسبة لدى فئة العازبات والأرامل بنسبة 32٪، بينما سجلت بنسبة أقل لدى فئة المطلقات بـ28٪ وفئة المتزوجات بـــ08٪، وعليه فالمجتمع سوفي بمرور الزمن قد حاول تطور وتحرر وتقبل فكرة

المرأة عاملة ومنتجة بجانب الرجل، بعد أن كان رافض هذه الفكرة رفضًا قاطعا بسبب العادات والتقاليد المنطقة.

أمّا بالنسبة لمهنة الأعمال الحرة والتي تعددت في النشاط الزراعي والحيواني وتجارة، حيث قدرت أعلى نسبة لدى فئة الأرامل بـــ 40٪ خاصة في النشاط الزراعي والمتمثل في المساعدة لزراعة البطاطة والتبغ في القرى المجاورة للمنطقة(قمار وغمرة) لتسجل نسب منخفضة لدى فئة المطلقات بـــ 24٪، ثم لدى فئة العازبات بنسبة20٪ لتأتي في الأخير فئة المتزوجات بنسبة 16٪، لتلي بعدها فئة النساء الماكثات في البيوت واللواتي ساهمنا أيضا في التنمية الاقتصادية من خلال الاقتصاد في المواد الغذائية بالإضافة إلى الانتاج الحيواني والزراعي والإنتاج اليدوي كالحياكة مثلا، حيث قدرت أعلى نسبة بـــ 56٪ لدى فئة الأرامل، وبهذا نجد أن المرأة السوفية تسعى إلى زيادة مستواها المعيشي ومنه زيادة في التنمية الاقتصادية، ولا يتم ذلك إلاّ من خلال عملها أو نشاطها، لأنه كلما ازداد دخل الفرد وفر احتياجاته واكتفى ذاتيا ويكون قد حققا تنمية اقتصادية في مجتمعه.

ويتضح في الأخير بأن المرأة السوفية قد أثبتت جدارتها في ساحة التنمية الاقتصادية بمجتمعها، وأكبر دليل على ذلك النسب المتباينة التي أحصيناها، بالإضافة إلى وجود عدّة نساء جديرات بوسام الاستحقاق في اصرارهن على تحقيق ذاتهن كأول امرأة سوفية السيدة الحادة الذيبة التي اقتحمت عالم التجارة باحترافية في قطاع غيار السيارات التي كانت حكرا على الرجال فقط في عهد الستينات والسبعينات، أيضا السيدة مڤا إيمان وهي أول امرأة سوفية تنصب

كرئيسة لإحدى دوائر الجزائر سنة 2017، أيضا في مجال الزراعة وهي رئيسة جمعية التنمية الريفية السيدة سعيدة ديدي فقد ساهمت في تنمية المرأة الريفية في منطقة غمرة بقمار طبعا بمساعدة الدولة، حيث شجعت مجال استصلاح الأراضي الفلاحية وزراعة البطاطة والفول السوداني والتبغ ...إلخ، كما حاولت أن توفر بعض الآلات الخياطة أو الحياكة لعدّة نساء لتجمع بعدها انتاجهن وتحاول أن تبتاعه في الأسواق، وهناك غيرهن من النماذج كثر.

المحور الثالث: مساهمة المرأة السوفية للتنمية الثقافية في المجتمع المحلي:

تعدّ الثقافة بوابة الأمم ويظهر ذلك من خلال الآثار التاريخية والعادات والتقاليد والمسرح والفن والأدب ووسائل الإعلام والاتصال المختلفة، فالثقافة في تطور مستمر خاصة"في مجالات التقنية والمعلومات والاتصال"(رابح كعباش، 2007، ص246)، ولهذا نجد الدولة الجزائرية تسعى جاهدة لتطوير التنمية الثقافية، وذلك بدعم الفئات المهتمة بها، وسنوضح الأمر فيمايلي:

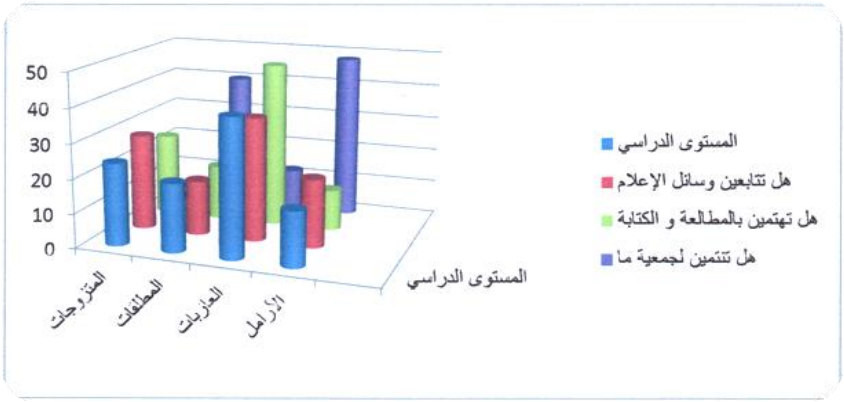

شكل رقم 04 يوضح: دراسة مساهمة المرأة السوفية في التنمية الثقافية.

	المستوى الدراسي		هل تتابعين وسائل الإعلام والاتصال		هل تهتمين بالمطالعة والكتابة		هل تنتمين لجمعية ما		المجموع	
	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪
المتزوجات	06	٪24	07	٪28	06	٪24	00	٪00	25	٪100
المطلقات	05	٪20	04	٪16	04	٪16	10	٪40	25	٪100
العازبات	10	٪40	09	٪36	12	٪48	03	٪12	25	٪100
الأرامل	04	٪16	05	٪20	03	٪12	12	٪48	25	٪100

الجدول رقم 03: يوضح توزيع فئة المرأة السوفية حسب الحالة الثقافية.

من نتائج الجدول رقم 03 يتضح لنا الدور الفعال الذي تقدمه المرأة السوفية في التنمية الثقافية ويظهر ذلك من خلال مستوياتها الدراسية المتفاوتة من فئة إلى فئة أخرى، حيث قدرت أعلى

نسبة لدى فئة النساء العازبات بـ40٪، وهذا أكبر دليل على الجانب توعي لديها بأهمية الدراسة والتعليم لأنّه ينمي مستواها الفكري والثقافي، بالإضافة إلى ذلك قد أحصينا عدد المتتبعات لوسائل الإعلام والاتصال(كالإذاعة والتلفزيون والأنترنت)، لأنّها تعدّ من والوسائل الثقافية فوجدنا أعلى نسبة لدى فئة العازبات، حيث قدرت بـ36٪، ومن مظاهر التنمية الثقافة المطالعة والكتابة، حيث أحصينا أعلى نسبة لدى فئة العازبات بـ 48٪، أمّا عن النشاطات الجمعوية فقد وجدنا أعلى نسبة لدى فئة الأرامل بـ48٪، فكلما زادت ثقافة المرأة زاد تطورها ومن ثم تنمية لمجتمعها.

وصفوة القول نجد أن المرأة السوفية قد قيدت حركتها في التنمية الثقافية لسنوات طويلة، برغم
من وجود مبدعات ولكن فضلن البقاء مختفيات، ومع هذا منهن من تحدين وظهرنا كالشاعرة الثورة فاطمة منصوري والشاعرة زوبيدة البشير، لتظهر مؤخرا حركة كبيرة في الثقافة كظهور الإعلامية باية رزيق في التسعينيات من خلال صوتها الإذاعي، وأيضا ظهور صوت غنائي الفنانة حورية صوالح بالإضافة إلى ظهور الممثلة مسعودة في مسرحيات المصنطح، وأيضا وجود العديد من الشاعرات المبدعات مثل سمية مبارك وكذلك نعيمة بيكي والكاتبة فوزية شنه وغيرهن، وبهذا نجد أن المرأة السوفية قد ساهمت في التنمية الثقافية في مجتمعها المحلي، برغم من رفض المجتمع السوفي للمرأة السوفية الشاعرة وممثلة وفنانة.

ثالثا- الآفاق المستقبلية للمرأة السوفية في مجال التنمية المحلية:

تعدّ المرأة السوفية المساهم الأول لنهوض بأسرتها وتطوير مجتمعها المحلي، وقد ظهر ذلك من خلال ما قدمته وما ستقدمه من انجازات وتضحيات من أجل مواكبة تطورات الحياة والعولمة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، ولهذا وضعت لنفسها أفق مستقبلية لضمان نجاح عملية التنمية داخل مجتمعها وذلك بمساعدة بعض الجهات المعنية لدولة الجزائرية، فتمثلت تلك الآفاق أو الرؤى في النقاط التالية:

- بما أن تعليم المرأة هو المحور الأساسي في عملية التنمية فقد وجب تقديم العديد من الحوافز لتشجيعها على طلب محو الأمية وتسهيل التحاقها بها، أو على الأقل تقليل الضغوط التي تقلل من هذا الطلب، فالضغوط الاجتماعية والواجبات العائلية تمنع النساء من الوصول إلى محو الأمية، وعليه لابد من وضع برامج متخصصة لمساعدتها على تنظيم وقتها وزيادة الوعي بأهمية التخلص من الأمية(سمير رضوان وجان لويس ريفيرز، 2006، ص34)، لتحسين مستواها وترقيته نحو الأفضل.
- وضع استراتيجيات تساهم في نشر الثقافة العلمية والتكنولوجية لدى المرأة، وتعزز مبدأ التنمية المستدامة وتكيفها مع متطلبات العصر.
- رصد تجارب بعض النساء اللواتي نجحن في مساهمتهن في مجال التنمية مثل مجال الإنتاج الزراعي، أو مجال الإنتاج الحيواني، أو مجال الاقتصادي أو مجال العلمي أو المجال السياسي أو المجال الفني، ودعمهن ماديا ومعنويا لأنّهن بذلن مجهودا خاصا في تنمية مجتمعهن وجعلهن قدوة لنساء أخريات.
- دعوة المرأة السوفية لمتابعة كل وسائل الإعلام خاصة منها الإذاعة المحلية لما فيها
من"ارتباط السياسة الإعلامية بالسياسات الأخرى للتنمية في المجالات الاجتماعية والثقافية
والاقتصادية"(سعاد جبر سعيد، 2008، ص30).
- إقامة معارض إعلامية وتحسيسية لفائدة التنمية المحلية، لنشر الوعي الفكري والمعرفي لدى المرأة السوفية لمعرفة مدى أهمية التنمية في مجتمعها المحلي.

- مطالبة الدولة الجزائرية بوضع خطة استراتيجية محكمة من أجل تقديم يد المساعدة للمرأة السوفية بطريقة قانونية ومنظمة، وذلك بتوفير قروض مصغرة لكل الفئات العمرية للنساء المنطقة مع تقديم لهن كل المساعدات الأولية المختلفة للقيام بمشاريعهن الانتاجية منها مشاريع انتاجية استهلاكية وتجارية أو مشاريع صناعية حرفية ومهنية وفلاحية وتقليدية مع ضمان تسويق المنتوج.

- محاولة توفير الدولة كل ما يساعد المرأة السوفية مثل"شبكات ضمان اجتماعي التي تكون مخصصة للمرأة، وتأخذ في الحسبان وضعها الاجتماعي وعدد الأطفال ومستوى الدخل وكونها تعمل أو لا تعمل"(سمير رضوان وجان لويس ريفيرز، 2006، ص38).

وعليه نجد أن موضوع التنمية في الواقع لن يتحقق في أي مجتمع، ما لم يتطلع له عامة الأفراد سواء كان رجلاً أم امرأة أم كان إطارا في الدولة أم كان موظفا أم مواطنًا عاديا بسيطا فالكل يجب أن يساهم في تنمية مجتمعه برغبة صادقة نابعة من الأعماق، لكي يحفزه الجميع على العمل الايجابي وبذل مجهودات وإمكانيات وقدرات كبيرة وواضحة من أجل انجاح التنمية في مجتمعهم. وعليه فالمرأة السوفية في أُفقها البعيد لمجال التنمية كانت مدركة لضرورة ومدى أهميتها في الإنعاش الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي، لذا كانت هي المساهم الأكبر في هذا المجال.

خاتمـــة:

إن المرأة السوفية كغيرها من نساء الجزائر بجميع مناطقها المختلفة، قد أثبتت وجودها في مجتمعها، برغم طمسه لها في السنوات الماضية، وذلك بحجة العادات والتقاليد والدين والمجتمع والمنطقة محافظة وغيرها، ولكنها مع مرور الزمن وتطوره تحدت كل تلك العقبات ونالت حريتها، وأصبحت المرأة متساوية مع الرجل في جميع الحقوق تقريبا، وهذا بفضل فطنتها وذكائها وحسن تفكيرها وتخطيطها في التدبير والتوفير وتخزين الانتاج في كل ميادين الحياة، مع محاولتها مواكبة كل تطورات العصر من أجل تنمية مجتمعها، فأصبحت الطبيبة والمُدرسة والسياسيّة والمحامية والمهندسة والفنانة والتاجرة والقاضية.

قائمة المراجع:

1. أحمد بن الطاهر منصوري(2015)، قيم وعادات وتقاليد المجتمع السوفي قديما، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر.
2. باسمة كيّال(1981)، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان.
3. جمال العيفة(2010)، مؤسسات الإعلام والاتصال الوظائف الهياكل الأدوار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
4. رابح كعباش(2007)، سوسيولوجيا التنمية، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، قسنطينة.
5. رشيد بومعالي(2011)، واقع التغيرات الاجتماعية في الأسر الريفية الجزائرية المهاجرة، ع7، مجلة دراسات اجتماعية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر.
6. سعاد جبر سعيد(2008)، سيكولوجية الاتصال الجماهيري، ط1، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن.
7. سمير رضوان وجان لويس ريفيرز(2006)، المرأة والتنمية الاقتصادية في البحر المتوسط، المفوضية الأوربية.
8. صلاح الدين شروخ(2005)، مدخل في علم الاجتماع، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر.
9. علي الحوات(1998)، النظرية الاجتماعية اتجاهات أساسية، منشورات شركة الجا، لبنان.
10. عمار عوادي(2011)، الحركة الوطنية والنشاط الثوري بوادي سوف(1918م-1957م)، ط1، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر.
11. محمود عاطف غيث(1974)، علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.